هو العليم

قصّة حبيب بن جمار

بحث منتخب من «معرفة الإمام»

إعداد: الهيئة العلمية في موقع مدرسة الوحي

@MadrastAlwahy

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و صلّى اللهُ على محمّد و آله الطّاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة إلاّ باللهِ العليّ العظيم

قال الشيخ المفيد: وممّا رواه الحسن بن محبوب، عن ثابت الثمالي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن سويد بن غفلة أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين! إنّي مررت بوادي القُرَى فرأيتُ خالد بن عُرفُطَة قد مات بها.[1] فاستغفر له. فقال عليه السلام: **«إنّه لم يمت، ولا يموت حتّى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن جمار».**[2]

---

[1] ذكر ابن حجر العسقلانيّ الشافعيّ ترجمته في كتابه: «الإصابة» ج ١، ص ٤٠٩ وقال: عُرفُطة بضمّ العين المهملة والفاء بينهما راء ساكنة. قال عمرو بن شبّة في «أخبار مكّة»: «قدم خالد بن عرفطة مكّة صغيراً فحالف بني زهرة... ولاّه سعد بن أبي وقّاص يوم القادسيّة. وكان معه في فتوح العراق. وكتب إليه عمر يأمره أن يؤمّره، واستخلفه سعد على الكوفة. ولمّا بايع الناس معاوية، ودخل معاوية الكوفة، خرج عليه عبد اللَه بن أبي الحوساء بالنخيلة. فوجّه إليه معاوية خالداً هذا فحاربه حتّى قتله. وعاش خالد إلى سنة ٦٠ أو ٦١. وذكر ابن المعلّم المعروف بالشيخ المفيد الرافضيّ في «مناقب علي» من طريق ثابت الثمالي، عن أبي إسحاق، عن سويد بن غفلة أنّ رجلًا جاء إلى علي فقال: إنّي مررت بوادي القرى فرأيت خالد بن عرفطة قد مات بها، فاستغفر له. فقال علي: إنّه لم يمت». ونقل ابن‌حجر هنا قصّة خالد بن عرفطة وحبيب بن جمار كلّها بهذه الألفاظ. وهي التي نقلناها في المتن عن «الإرشاد» للشيخ المفيد.

[2] لم نعثر في معاجم الرجال على شخص باسم حبيب بن جمار، واسم أبيه جمار بالجيم المعجمة. وعند ما ذكر صاحب «الإصابة» ترجمة خالد بن عرفطة، نقل اسم حبيب عن الشيخ المفيد على أنّه حبيب بن حمار بالحاء المهملة. بَيدَ أنّ مؤلّف «الإصابة» نفسه ضبطه مع حبيب بن حمّاد الأسديّ بالحاء والدال المشدّدة وقال في كتابه المذكور، ج ١، ص ٣٠٥: من أصحاب النبيّ صلى اللَه عليه وآله. شهد معه الأسفار. ونقل عنه حديثاً. ولمّا قال صاحب «الإصابة»: وله ذكر في ترجمة خالد بن عرفطة يأتي، فيستبين أنّ صاحب راية خالد كان حبيب بن حمّاد نفسه.

فقام إليه رجل من تحت المنبر، فقال: **يا أمير المؤمنين، واللَه إنّي لك شيعة، وإنّي لك محبّ. قال الإمام: ومَنْ أنْتَ؟ قال: أنَا حَبِيبُ بْنُ جمار. قال: «إيَّاكَ أنْ تَحْمِلَهَا، ولَتَحْمِلَنَّهَا فَتَدْخُلَ بِهَا مِنْ هَذَا البَابِ – وأوْ مَأ بِيَدِهِ إلَى بَابِ الفِيلِ»** (أحد أبواب مسجد الكوفة) – .

فلمّا مضى أمير المؤمنين عليه السلام، ومضى [الإمام] الحسن عليه السلام بعده، وكان من أمر [الإمام] الحسين عليه‌السلام ومن ظهوره ما كان، بعث ابن زياد بعمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام، وجعل خالد بن عُرفطة على مقدّمته، وحبيب بن جمار صاحب رايته. فسار بها [خالد] حتى دخل المسجد من باب الفيل.

وهذا أيضاً خبر مستفيض لا يتناكره أهل العلم والرواة للآثار. وهو منتشر في أهل الكوفة، ظاهر في جماعتهم لا يتناكره منهم اثنان. وهو من المعجز الذي ذكرناه.[1]

ورواه بهذا المضمون ابن شهر آشوب في مناقبه عن أبي الفرج الإصفهاني في «أخبار الحسن»،[2] وأيضاً رواه المجلسيّ في «بحار الأنوار» عن الأعمش، وابن محبوب عن الثمالي والسبيعي، وكلّهم عن سويد بن غفلة، وكذلك رواه أبو الفرج الإصفهانيّ في «أخبار الحسن».[3]

و رواه المجلسيّ أيضاً في «بحار الأنوار» بمضمون آخر عن «الاختصاص» للشيخ المفيد، و«بصائر الدرجات» للصفّار، فقد روى عن هذين العالمين الجليلين، عن عبداللَه بن محمّد، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة، عن سويد بن غفلة أنّه قال:

أنا عند أمير المؤمنين عليه‌السلام إذ أتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! جئتك من وادي القرى، وقد مات خالد بن عرفطة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّه لم يمت»**. فأعادها عليه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«لم يمت، والذي نفسي بيده لا يموت»**. فأعادها عليه الثالثة. وأجابه الإمام نفس الجواب.

---

[1] «الإرشاد»، ص ١٢٨.

[2] «مناقب آل أبي طالب» ج ١، ص ٤٢٧، الطبعة الحجريّة.

[3] «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٥٨٥، طبعة الكمبانيّ. أقول: وذكره السيّد ابن طاووس في «الملاحم والفتن» ص ٩٢، طبعة النجف، المطبعة الحيدريّة.

فقال الرجل: سبحان اللَه! أخبرك أنّه مات وتقول: لم يمت. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«والذي نفسي بيده لا يموت حتّى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جمار»**. فسمع بذلك حبيب، فأتاه، فقال له: أناشدك فيّ وإنّي لك شيعة، وقد ذكرتني بأمر، لا واللَه ما أعرفه من نفسي. فقال له: **«إِنْ كُنْتَ حَبِيبَ بْنَ جَمارٍ لَتَحْمِلَنَّهَا»**. فولّى حبيب. وقال الإمام مرّة أخرى: **«إِنْ كُنْتَ حَبِيبَ بْنَ جمارٍ لَتَحْمِلَنَّهَا»**.

قال أبو حمزة الثماليّ راوي هذا الخبر عن سويد بن غفلة: **واللَه ما مات حتّى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّ عليه السلام، وجعل خالد بن عرفطة على مقدّمته، وحبيب صاحب رايته.**

و قال المجلسي بعد بيان هذا الخبر: رواه ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» عن كتاب «الغارات» لابن هلال الثقفيّ، عن ابن محبوب، عن الثماليّ، عن سويد بن غفلة.[1]

و من هنا نفهم ما ورد في السِيَر والتواريخ والأحاديث من أنّ قاتلي سيّد الشهداء عليه‌السلام كانوا من شيعة أمير المؤمنين عليه‌السلام الكوفيّين **كحجّار بن أبجُر، وشَبَث بن رِبعي، ومحمّد بن الأشعث،** وغيرهم. وكان كلّ منهم يقود أربعة آلاف جندي. وتحرّكوا بجيشهم البالغ ثلاثين ألفاً لحرب الحسين صلوات اللَه عليه، وعبّأوا أنفسهم من أجل حطام الدنيا، وجوائز يزيد، وابن زياد، ورئاسة مؤقّتة زائلة في مصر من الأمصار، وأمثال ذلك. وأراقوا دم بضعة المصطفى في صحراء كربلاء ظالمين له، وناهضين بوجه الحقّ والتوحيد والعدالة. وأعمتهم زخارف الدنيا الخدّاعة وطبعت على سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم حتّى نسوا جميع الخطب التي خطبها إمام المتّقين وسيّد الأوّلين والآخرين أمير المؤمنين عليه السلام، وإخباره بالغائبات، وجهاده للَّه ودينه. حقّاً **حُبُّ الشَّيءِ يُعْمِي ويُصِمُّ**. فمن أحبّ شيئاً، فإنّ عينه تعمى عن رؤية غيره، وأذُنَه تصمّ عن سماع سواه، ولا يعد يدرك إلاّ مطلوبه ومقصوده، ويختم بيده

[1] «بحار الأنوار» طبعة كمباني، ج ٩، ص ٥٧٨ و٥٧٩، طبعة الكمبانيّ؛ وذكره ابن أبي الحديد في شرحه على النهج طبعة مصر، دار الإحياء، ج ٢، ص ٢٨٦ و٢٨٧ عن أبي هلال الثقفيّ في كتاب «الغارات» عن الحسن بن محبوب، عن ثابت الثماليّ، عن سويد بن غفلة.

على قلبه وبصيرته، ويحبس نفسه في غار الشيطان المظلم الدامس، ومطمورة الجنّ، وهوى النفس الأمّارة.

و لعلّ حبيب بن جمار الذي جاء عند أمير المؤمنين عليه‌السلام كان يومئذٍ صادقاً فيما ادّعاه من تشيّعه، ولم يَدُر في خلده، ولم يَجُل في ظنّه أنّه سيحمل يوماً على كتفه راية يزيد وعمر بن سعد. بَيدَ أنّ الربّ الحكيم يفتن الناس ويبتليهم حتى تظهر بواطنهم، وتنكشف خفيّاتهم وما يخبّئون في سويداء قلوبهم، ممّا قد يعزب عنهم أنفسهم. وعندئذٍ يُساق إلى الجنّة من كان أهلاً لها، ويساق إلى جهنّم من كان أهلاً لها.

و كان البراء بن عازب من صحابة رسول اللَه صلى اللَه عليه وآله، ومن أنصار أمير المؤمنين عليه السلام، وكان حيّاً يوم استشهد أبو عبد اللَه الحسين عليه‌السلام بَيدَ أنّه لم يرفده ولم ينصره، فعاش متحسّراً حتّى مماته، ولكن هل يغني التحسّر شيئاً! وما على المؤمن إلاّ أن يكون بصيراً واعياً مغتنماً للفرصة في المواقف المطلوبة.

روى الشيخ المفيد، وابن شهر آشوب عن إسماعيل بن صبيح، عن يحيى بن المساور العابد، عن إسماعيل بن زياد أنّ عليّاً عليه السلام قال للبراء بن عازب يوماً: **«يَا بَرَاءُ! يُقْتَلُ ابْنِيَ الحُسَيْنُ وأَنْتَ حَيّ لا تَنْصُرُهُ»**.

فلمّا قُتِل الحسين عليه السلام، كان البراء بن عازب يقول: صدق واللَه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. قُتل الحسين، ولم أنصره. ثمّ يظهر الحسرة على ذلك والندم.[1]

[ملاحظة: انتخب هذا البحث من معرفة الإمام، ج١٢، ص ٩٣، تأليف المرحوم العلاّمة آية اللـه الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ رضوان اللـه عليه، وقد تمّ توثيقه‌ومقارنته مع‌المصدر الفارسي‌من قبل الهيئة العلميّة في لجنة الترجمة والتحقيق، و تجدر الإشارة إلى أنّ العبارات و الهوامش التي وقعت بين معقوفتين هي من الهيئة العلميّة]

[1] «الإرشاد» ص ١٨٣؛ و«المناقب» ج ١، ص ٤٢٧؛ وروى في «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٥٨٥، عن «المناقب».